وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : التعايش السلمي

التعايش السلمي .

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

أولاً : تعريف التعايش .

١. التعايش لغةً .

لم تتناول كتب التعريفات اللغوية هذا المصطلح بمفهومه الحالي : "التعايش" وإنما عبرت عنه بصفة العيش المشترك كحالة اجتماعية مشتقة من العيش من اجل البقاء.

ففي لسان العرب : العيش هو الحياة . [١]

و"عَايَشَةُ مُعَايَشَةً : عَاشَ مَعَهُ ، كقَوْلِهِمْ عَاشَرَهُ ، قالَ قَعْنَبُ بنُ أُمِّ صاحِبٍ .. وقد عَلِمْتُ على أَنِّي أُعَايِشُهُمْ لا تَبْرَحُ الدَّهْرَ إلاّ بَيْنَنا إِحَنُ ، والعِيْشَةُ ، بالكَسْرِ : ضَرْبٌ من العَيْشِ ، يُقَال : عَاشَ عِيشَةَ صِدْقٍ ، وعِيْشَةَ سُوءٍ ، ويَقُولُون : الأَرْضُ مَعَاشُ الخَلْقِ ، والمَعَاشُ : مَظِنَّةُ المَعِيشَةِ. " [٢]

والمَعيشةُ جمعها معايِشُ ، بلا همز، إذا جمعتها على الأصل. وأصلها معْيَشَة، وتقديرها مَفْعَلَةٌ. والتَعَيُّشُ: تكلّف أسباب المَعيشةِ. [٣]

---

[١] ينظر : لسان العرب ، ابن منظور / ٢٤: ٣١٩٠ .

[٢] تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د.ط ، د.ت ./ ١٧: ٢٨٥ .

[٣] الصحاح في اللغة / ٢: ٩ .

٢. التعايش اصطلاحاً :

حالة من الاشتراك في العيش ، ومثال للتعاون المقبول يقوم على احترام حقوق الآخرين ، ويذهب الى فائدة كل من الطرفين المتعايشين سواء كانوا افراداً او جماعات .

وهذا يدل على تعاطي وتعلم واستخدام العيش بشكل مشترك ، ليس هذا فحسب ، بل القبول بالتنوع بما يضمن وجود صلة صالحة مع الآخر ، بحسب القواعد الشرعية المتاحة ، فضلاً عن عدم ترك فجوة بين الطرفين .

يرتبط التعايش بمبدأ التعددية ارتباطاً وثيقاً ، عن طريق ابرز مميزات وسمات الفكر الاسلامي ، وهو : التنوع الانساني ، الذي يعد حقاً من حقوق الانسان الذي ولد من رحم التجربة الاجتماعية ، وبالتالي يرتبط ابناء المجتمع فيما بينهم ارتباط عيش وتحقيق مصلحة ، من اجل استمرار نوعهم ، ورخاء عيشهم .

وعلى ذلك فالتعايش أمر فطري ، خلقه الله تعالى في البشرية وجعله ضرورة لديمومة حياتها وتفاعلها مع الاجناس الأخرى ، لذلك يلزم احترام التعايش الذي يعبر عن إرادة رب العالمين ، حيث خلقنا متنوعين لا لنتقاتل بل لنتعايش .

فهو : وصف ضروري لحالة التعايش ، على افتراض وجود تعايش لا يقوم على السلم ، ليتم ربط هذا المصطلح بالسياسة ، ليدل على ايجاد البديل أو ايجاد الحل دون العدائية والحروب بين الدول التي تحتوي على انظمة اجتماعية مختلفة ، غير ان السياسة الحديثة استخدمته بحجج دينية وبراهين اخلاقية من اجل ان تجمع ابناءها ، وتقوم على بناء مجتمعها .

ومن هنا يظهر أن المقصود من حوار التعايش السلمي : الحوار الذي يُحسن العلاقة الاجتماعية بين الناس جميعاً ، سواء كانوا شعوباً كبيرةً أو طوائف وفئات عرقية أو أقليات دينية ، فضلاً عن عنايته بالقضايا العالمية التي من شأنها تحقيق السلام العالمي ، وتنمية اقتصاد الدول الفقيرة ، وهو أولاً وآخراً مادة من مواد الفكر الاسلامي العملية .

في حين يرى البعض أن التعايش السلمي يترسخ بين الشعوب والأمم في إشارة الى أهميته الانسانية في نماء وبقاء التعددية والسلام العالمي ، فليس للدول أهمية في هذا الجانب بقدر أهميته المجتمعية التي تمنع الحروب وتمنح الحب والوئام بين الناس جميعا .

وبالتالي نستطيع ان نقول أن التعايش السلمي :

خلق جوٍ من الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع ، والتغاضي عن الاختلاف الديني والمذهبي والفكري ، واحترام حريات الآخرين ، ومن أهم ثمراته : التسامح ، الذي يسهم في بناء المجتمع ورفض التطرف والارهاب .

ثانياً : أدلة التعايش الســـلمي في الإسلام .

عندما نتناول التعايش وفق المبادئ الإسلامية والانسانية ، فإن اللافت للنظر عدم فصل الدين عن الأخلاق التي هي ابرز متطلبات التعايش والتعددية ، فالجوانب الأخلاقية الراقية ، تتصل بالدين وأحكامه ، بل إن الصواب أن يوصف الدين بالقوة الأخلاقية ذات النتائج الايجابية ، من أجل بث روح المحبة بين الناس .

١ـ أدلة التعايش السلمي في القرآن الكريم .

لم ينه القرآن الكريم المسلمين عن التعايش مع غيرهم ، ما داموا ملتزمين بضوابط الشريعة الاسلامية ، فقد جاء القرآن الكريم بالكثير من الاشارات الى ذلك ، من أهمها :

قوله تعالى : ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ (١)

وهذا من باب الرخصة للمسلمين في بر من لم يقابلهم بالعداء والقتال من الكافرين فهذه الآية تحث على البر والاحسان والمودة بين المسلمين وبين من لم يقاتلهم أو يتآمر مع أعدائهم عليهم .

---

(١)سورة الممتحنة ، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

والإحسان المذكور في هذه الآية يكون بالرفق بضعيفهم ، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم . ([2])

وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ ([3])

ومعنى لتعارفوا : أي ليتعرف أحدكم على الآخر ، مهما كان لونه ولسانه وحاله لأن التعارف مما يجلب المنفعة الدنيوية والأخروية ومنها مظنة الهداية للآخرين .

فهذا اعلان من الله تعالى الى أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة ، من اجل التأكيد على التعددية التكوينية في أصل الخلقة الإنساني ، وهو ما يستوجب التعايش السلمي بين الخلق ، دون الالتفات الى لون او عرق او جنس ، وأنه لا يمكن ان يدعي شخص أنه أفضل من الآخر ، لأن الأفضل هو من يتقي ربه ، ويخدم مجتمعه ، ويأمن الناس من شر يده ولسانه ، وبالتالي فمن الواجب أن لا يكون التعارف سبباً من أسباب العداوة والبغضاء ، بل يجب أن يكون نظام حياة يشمل جميع الأجناس لتحقيق المصالح الانسانية المشتركة .

وقد أمر الله تعالى عباده بحسن التعايش مع آبائهم وأمهاتهم وحسن التعامل معهما سواء كانا مسلمين أو كافرين ، بقوله عز وجل : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾([4])

اي المصاحبة بالمعروف بما يرتضيه الله سبحانه وتعالى ، من برٍ واحسان وتقديم المساعدة المادية والمعنوية .

([2])ينظر : ينظر: الفروق ، أو العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفى ٦٨٤هـ ، تحقيق عمر حسن القيام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. / ٢ : ٤٣٤ .

([3])سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

([4])سورة لقمان ، الآية : ١٥ .

ومن هذا الباب ، فهم العلماء ضرورة التعايش مع الوالدين ، وعدم تركهما ، وان كانا كافرين كما ورد عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : (قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهْيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ { إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ } وَهْيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ)(٥)

كما أرشد الإسلام إلى أن الاختلاف بين أهل الأديان لا يمنع من حسن التعامل معهم وتبادل المنافع المادية بينهم قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (٦)

٢. أدلة التعايش السلمي في السنة النبوية .

لقد أشارت سنة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى احترام العهود مع الكافرين وغيرهم ، طبقاً لأسس التعايش السلمي ، والتزاماً بما جاء به القرآن الكريم بقوله عز وجل : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٧)

وانطلاقاً من اشارة سورة الكافرون في قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (٨)

---

(٥) صحيح البخاري / ٣ : ٢١٥ برقم ٢٦٢٠ .

(٦)سورة المائدة ، الآية : ٥ .

(٧)سورة الممتحنة ، الآية : ٨ .

(٨)سورة الكافرون ، الآية : ٦ .

نجد أن النبي صلي الله عليه وآله وصحبه وسلم سارع الى تطبيق توجيهات ربه سبحانه وتعالى ، تطبيقاً عملياً وتربوياً وتوجيهياً ملتزماً بكل حرف من القرآن الكريم في سبيل إقامة التعايش السلمي بكل اشكاله وصوره ، فمن جهة سياسية وأخرى اجتماعية واقتصادية ، بادر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الى كتابة المعاهدة السياسية الاقتصادية الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم ممن في المدينة المنورة ، تؤسس لأسس العيش المشترك وحقوق الأفراد والجماعات والواجبات ، من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وهي أول وثيقة دستورية حوت في طياتها سبع وأربعين قاعدة من أجل تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم من الديانات والمجتمعات والطوائف والملل التي تحتكُّ بها ، لضمان حقوق المسلمين وغيرهم .

ومن هذه القواعد : وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ ([٩])

وقد جاءت نصوص صحيحة تدل على مشروعية التعايش مع غير المسلمين المسالمين، والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية فمن أبرزها ما يأتي:-

أ. تحريم إيذاء المعاهدين .

كما جاء عن النبي ﷺ قوله : (من آذى ذميا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله وفي رواية: ألا من ظلم معاهدا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة.) ([١٠])

ب . الرحمة بمن ابتلي بمرض .

([٩]) الروض الأنف / ٢ : ٣٤٥ .

([١٠]) سنن ابي داوود / ٣ : ١٧٠ .

وذلك عن طريق عيادته ، وتقديم المعونة اللازمة له كما في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال (كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: اسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم ، فخرج النبيﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار) (١١)

ج . إقامة علاقة دنيوية مع اليهود وغيرهم ، مثل الاستدانة منهم ، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار ربه ، ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير .

د . تقديم المساعدة فيما بين المسلمين .

حيث وجه ديننا الحنيف الى ان يقدم المسلمون المساعدة فيما بينهم ، ودعا الى التعاون من أجل إرساء قيم التعايش المجتمعي بين الناس جميعا ، وحث على التسامح فيما بينهم .

وهو ما حدث عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ، حيث زرع في النفوس التسامح والمودة والإخاء بين المسلمين وبين من يعيش معهم ، وقد بدأ هذا الأمر بمعاهدة سلام جاءت بالعفو عن المسيء ، وبذل الخير لكل من يبدي السلام غير أن اليهود كعادتهم نقضوا العهد كما هو معلوم .

هـ . احترام روح من مات من المسلمين وغيرهم .

كما في حديث جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . قال: مر بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ فقمنا معه. فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا . (١٢)

و . عدم إكراه الناس على الدخول في الاسلام .

حيث جاء وفد نصارى نجران أنزلهم الرسول في المسجد ولما حان وقت صلاتهم تركهم يصلون في المسجد فكانوا يصلون في جانب منه ، ولما حاوروا الرسول حاورهم بسعة صدر ورحابة فكر وجادلهم بالتي هي أحسن ومع أنه أقام الحجة عليهم إلا أنه لم يكرههم

---

(١١) فتح الباري / ٣ : ٢١٩ .

(١٢)ينظر المصدر السابق / ٣ : ١٨٠ .

على الدخول في الإسلام بل ترك لهم الحرية في الاختيار ، وقد أسلم بعضهم بعدما رجعوا إلى نجران . ([١٣])

([١٣])ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد، جمال الدين ، ت ٢١٣هـ ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥/ ٢ : ١٥٨ . وينظر : أسباب النزول ، علي بن احمد الواحدي النيسابوري ابو الحسن ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م./ ٦٦.